عشر كلمات في تربية الأبناء

إعداد

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

غفر الله له ولوالديه

إعداد
عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
غفر الله له ولوالديه

الطبعة الثانية
٢٠٢٠ / ١٤٤١هـ

تَمَّ تَـنْسِيقُ هذه المَادَّة ومُراجَعَتُها في

هاتف: ٥٠٣٥٠٠٧٧ - ٩٧٩٢٨٢٣٦ (٩٦٥+) البريد الالكتروني: maktab.etqan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على عبدِ الله ورسولِهِ وخليلِهِ نبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وأصحابِهِ أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مِن أهمِّ الواجبات الجَسِيمة والأمانات العظيمة التي يَجبُ على العبد أن يعتنيَ بها في هذه الحياة: (أبناءَه)؛ من حيثُ تربيتُهم، وتأديبُهم، ونُصْحُهم وتَوجِيهُهم، فإنَّ الأبناءَ من جملة الأمانات العظيمة التي أمر اللهُ ﷻ برعايتها وحفظها، كما قال تعالى عندَ ذِكرِهِ لأوصاف المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الأنفال: ٢٧].

والله تبارك وتعالى كما أنَّهُ وَهَبَ الآباءَ هذه النعمةَ العظيمةَ؛ فقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، فإنه قد ائتمنهم عليها، وأوجبَ عليهم حقوقًا وواجباتٍ، وجعلها امتحانًا واختبارًا للآباء؛ فإِنْ قاموا بها تجاهَ أبنائهم كما أمرَهُم الله تبارك وتعالى كان لهم عند الله أجرٌ عظيمٌ، وثوابٌ جزيلٌ، وإن فرَّطوا فيها فقد عَرَّضوا أنفسهم للعقوبة بحسب تفريطهم.

قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

فالآيةُ أصلٌ عظيمٌ في وجوبِ رعايةِ الأولادِ وتربيتهم، والعنايةِ بأحوالهم.

قال الخليفة الراشد عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه في بيان هذه الآية: «عَلِّمُوهم، وأدِّبوهُم»[1].

---

(١) أخرجه الطبريُّ في «جامع البيان في تأويل القرآن» (٢٣/ ١٠٣).

وصحَّ عن النبيِّ ﷺ تأكيدُ هذا الأمر، وبيان تحتُّمِهِ على الآباء في قولِه: «**كلُّكُم راعٍ وكلُّكُم مسْؤولٌ عن رعيَّتِهِ؛ الإمامُ راعٍ وهو مسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والرجلُ راعٍ في أهلِهِ وهو مسْؤولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، والمَرأةُ راعِيَةٌ في بيتِ زَوجِها وهي مسْؤولَةٌ عن رَعِيَّتِها، والخادِمُ راعٍ في مالِ سَيِّدِهِ وهو مسْؤولٌ عن رَعيَّتِهِ، ألا كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»(١).

فقوله ﷺ: «**مَسْؤولٌ**»: تذكيرٌ بسؤال الله ﷻ للعبد عن هذه الأماناتِ إذا وقف بين يديه يومَ القيامةِ، بل قال بعضُ أهل العلم: «إن اللهَ ﷻ يَسألُ الوالدَ عن ولدِهِ يومَ القيامةِ قبل أن يَسأل الولدَ عن والدِهِ؛ فإنَّهُ كما أن للأبِ على ابنهِ حقًّا فللابنِ على أبيه حقٌّ»(٢).

قال ابنُ عمرَ رضي الله عنهما: «أَدِّب ابنَكَ فإنك مسؤولٌ عن وَلَدِك؛ ماذا أدَّبتَـهُ، وماذا عَلَّمتَـهُ، وإنه مسؤولٌ عن بِرِّك وطواعِيَـتِهِ لك»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ر: ٥١٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (ر: ١٨٢٩).

(٢) «تحفة المودود بأحكام المولود» لابن القيم رحمه الله (ص٢٢٩).

(٣) أخرجه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (ر: ٥٣٠١).

وكما أوصى الله ﷻ الأبناء ببِرِّ آبائهم ووجوب الإحسان إليهم بقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]، فقد أوصى الآباء بالأبناء أيضًا؛ بتربيتهم وتأديبهم، كما قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، «فوصيَّةُ الله للآباء بأولادهم سابقةٌ على وصيَّة الأولادِ بآبائهم»[(١)].

وقد أخبرنا نبيُّنا الكريم ﷺ أنَّ للوالدين تأثيرًا بليغًا على أبنائهم؛ في عقائدهم وأديانهم، فضلًا عن أخلاقهم وطباعِهم، فقال ﷺ: «**كُلُّ مَولودٍ يُولَد على الفِطْرة، فأبواه يُهوِّدانه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه؛ كمِثْلِ البَهيمةِ تُنْتِجُ البهيمةَ، هل ترى فيها جَدْعاء؟**»[(٢)].

وهذا مَثَلٌ بليغٌ محسوسٌ؛ فإنَّ البهيمةَ تُـنْـتَجُ في العادةِ سليمةً من العيوب والآفات، فليس فيها جدْعٌ أو قطعٌ في يَدِها أو أُذُنها أو رِجْلِها، وإنما يـحصُلُ ذلك من صاحِبِها أو راعيها، إما بإهمالِهِ أو بفعلِهِ مباشرةً.

---

(١) «تحفةُ المودود» لابن القيِّم (ص٢٢٩).

(٢) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (ر: ٥١٨٨)، ومسلم في «صحيحه» (ر: ١٨٢٩).

فـهكذا الابن فإنه يُـولد على الفطرة، فإذا تعلَّم الكذبَ، والغِشَّ، أو الفساد والانحراف، أو غيره من الـمنكرات فإنَّه لأمرٍ خارجٍ عن الفطرة؛ إما أن يكون بسبب سوء التربية، أو الإهمال فيها، أو بمؤثِّرٍ خارجيٍّ من أصحابِ السوء أو غيـرهم من الـخُلطاء.

ولأهـمية هذه الأمانة وعظمها أَذكـرُ هنا عشر ركائـز تُعَدُّ من أهمِّ الأُسُسِ التي ينبغي على كلٍّ من الوالدين أن يُعْنَوا بها ليتحققَ لهما هذا المطلب النبيل، والمقصد الجليل، والتَّوفيقُ بيد الله، وحده لا شريك له.

ونسأله بمنِّهِ وكرمِهِ أن يحفظَ أبناءَنا أجمعين بما يحفظُ به عباده الصالحين، وأن يتولَّاهم بالتَّوفيق، وأن يرزقَهم الصَّلاحَ والعافيةَ والسلامةَ من الفِتَن، إنَّه سميعٌ مُجيبٌ.

الركيزةُ الأولى

اختيارُ الزَّوجةِ الصَّالحة

إنَّ مِن أوَّل الركائز في التربية اختيار الزَّوجة الصالحة، وهذه الرَّكيزةُ تكونُ قبلَ أن يُـرْزقَ الوالدان بالأولاد، فعليكَ أن تجتهدَ في اختيارِ زوجةٍ معروفةٍ بالاستقامةِ والصَّلاحِ والتقوى؛ لأنَّها ستكون عونًا لك على تربيتِهم، وتأديبِهم، وتنشئتِهم التنشئةَ الصالحة، وحتى لو لم تُـعِنِ الـزوجة الصالحة زوجَها على تـربية الأبناء فإنها لن تكونَ ضررًا عليهم في دينهم وأخلاقهم.

ولهٰذا جاء الحثُّ من نبيِّنا الكريم ﷺ على اختيار المرأة ذات الدِّين فقال: «**تُـنكحُ الـمرأةُ لأربعٍ: لـمالها، ولـحسَبِها، وجمالـها، ولدِيـنِـها؛ فاظفَـرْ بذاتِ الدينِ تَرِبَتْ يَداكَ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (ر: ٥٠٩٠)، ومسلمٌ في «صحيحه» (ر: ١٤٦٦).

وقوله: «**تربَتْ يداكَ**»: هذه الكلمة تُطْلِقُها العربُ ولا تريدُ حقيقةَ لفظها، وإنَّما المرادُ بها الحثُّ والتَّشمير في طلبِ المأمورِ به.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «**مَن رزَقَهُ الله امرأةً صالحةً فقد أعانَهُ على شَطْر دينه، فَلْيَتَّقِ الله في الشَّطر الباقي**»(١).

ولهذا كانت الزوجةُ الصالحةُ من أعظم أسباب السَّعادة في الدُّنيا، كما أخبر بذلك نبيُّنا ﷺ فقال: «**مِنْ سعادةِ ابنِ آدمَ المرأةُ الصَّالحة**»(٢).

وإنَّما كانت المرأةُ الصَّالحةُ جُزءًا مِن سعادةِ المَرءِ؛ لأنَّ فيها صفاتٍ لا تتوفَّر إلا في الصَّالحة من النِّساء، كالإخلاص والنُّصحِ والصِّدقِ، والأمانةِ، والوفاءِ، وحفظِ المالِ، واحترامِ الزَّوج، وصِيانةِ العِرْضِ، وحُسْنِ التَّربية للأولاد.

ثمَّ إنَّ صلاحَها ينعَكسُ على الأبناءِ غالبًا؛ لِشدَّة مباشرتها لهم، وعنايتها بهم، وتوجيهها المستمر لهم، وهذا أيضًا مِنْ جُملة السَّعادة التي يجعلها الله ﷻ في الزَّوجة الصالحة.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٦٢)، وقال: «صحيح الإسناد»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٠٤): «حسنٌ لغيره».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (ر: ١٤٤٥)، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٠٣): «صحيحٌ لغيره».

الركيزةُ الثَّانيةُ

غَرْسُ العقيدة والإيمان

فالعقيدةُ والإيمان هما الأساسُ الذي تُبنى عليه بقيَّةُ الأعمال، فإذا صَلحَ الأساسُ صَلحَت الآثارُ الناتِـجةُ عنه، وأثمرت الثِّمار الطيِّبة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم ٢٤-٢٦].

فالشجرة إذا قُطِعَ أصلُها ماتت، فكذلك الدِّينُ إذا لم يقُم على التَّوحيد لم يُنتفع به، فمنزلةُ التَّوحيد من الدِّين منزلةُ الأصول من الأشجار، والقواعد من البنيان.

ولهذا تكاثرتِ النُّصوصُ في الوحيين على أهميَّة تَرسِيخ العقيدةِ السَّليمة، والإيمان الصَّحيح في نُفوسِ الأبناء منذ الصِّغَر،

كما جاء في وصايا لقمانَ الحكيم رحمه الله لابنِهِ -وهو يعظُهُ- تأكيدُهُ على هذه الرَّكيزة، بل كان مِن أوَّل ما قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

فبدأ هذه الوصية بِـنَـهْـيِـهِ عن الشِّرك وتحذيره منه، وذلك لأنَّ الشِّركَ أخطرُ الذُّنوب، وهو مُبْطِلٌ لجميع الأعمال.

والشِّركُ: هو تسوية غير الله بالله في شيءٍ من حقوقِ الله ﷻ، كما أخبر تعالى عن المشركين أنَّهم إذا دخلوا النار يوم القيامة يقولون على سبيل الـحَسْرة والنَّدامة: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨].

وكان مـمَّا وصَّى به لقمان ابنَـهُ: تذكيـرُهُ بمراقبة الله ﷻ، وإحاطته بكُلِّ شيءٍ، فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [لقمان: ١٦]، وفي هذا تنبيهٌ للأبوين أن يُعْنوا بتربية أبنائهم على مراقبة الله تعالى، وأنَّه مُطَّلِعٌ عليهم ﷻ.

فغَـرْسُ هذه العقيدة في نُـفُوسِ الأبناء هو تعزيزٌ لـمرتبـةِ الإحسان عندهم، وتهيئتهم لـمُراقبة الله ﷻ في جميع أفعالهم، لاسيَّما في هذا الوقت الذي انتشرت فيه الأجهزة، وما قد يحصلُ فيها من السُّموم والبلايا الجسيمة.

وقد حَرِصَ النَّبيُّ ﷺ أشدَّ الحِرص على بيان هذه العقائد وغَرْسِها في نُـفُوسِ النَّاشئـة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «**يا غلامُ إنِّي أُعَلِّمُك كلمات، احْفَظِ الله يحفظك، احْفَظِ الله تَـجِدْهُ تُـجاهَك، إذا سألتَ فاسْألِ الله، وإذا اسْتَـعَـنْتَ فاستَعِن بالله، واعْلَمْ أنَّ الأمةَ لو اجْـتَمَعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كـتَـبَـهُ الله لك، ولو اجْـتَمُعوا على أنْ يَضُرُّوك بشيء لم يَضُرُّوك إلا بشيءٍ قد كـتَـبَـهُ الله عليك، رُفِعَتِ الأقلامُ، وجَـفَّتِ الصُّحُفُ**»[١].

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في «الجامع» (ر:٢٥١٦)، وصحَّحه الألباني في «المشكاة» (ر:٥٣٠٢).

الركيزةُ الثَّالثةُ

كثرةُ الدُّعاء

فالـدُّعاءُ للأبناء يعتبـرُ من أهمِّ الركائـز فـي صلاحهم واستقامتهم، وهذا الدعاء يكون قبل مـجيئِهم وبعده؛ فيدعو الوالدان أنْ يرزقَهم اللهُ ﷻ الذريةَ الصالحةَ، ويدعوان أيضًا للأولاد بعد أن يرزقهما الله ﷻ بهم؛ بالهدايـةِ والصَّلاحِ والاستقامةِ والثباتِ على الديانة، أسوةً بالأنبياء عليهم السلام.

فإنَّ الله ﷻ أخبرنا عن خليلِهِ إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الصافات: ١٠٠].

وقال إبراهيم عليه السلام أيضًا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[إبراهيم: ٤٠].

وقال زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[آل عمران: ٣٨].

ومِن دعاءِ عِبَادِ الرحمن الذين امتدحهم ربُّ العالمين[1] قولهم: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

ومن نِعمةِ الله وكَرَمِهِ أنْ جعلَ دعوةَ الوالد لأولاده مستجابةً، لا تردُّ، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاثُ دعواتٍ مُستجابات لا شكَّ فيهِنَّ: دعوةُ الوالدِ، ودعوةُ المسافرِ، ودعوةُ المظلوم**»[2].

وممَّا ينبغي التنبيهُ عليه في هذا المقام أيضًا: أنه على الوالدين أن يَحذرا من الدعاءِ على أولادهما بالشرِّ، لاسيما في حالِ الغَضب، فلا يتعجَّلا بالدعاء على أولادِهما، فتُستَجابُ دَعوتُهُما ثمَّ يندَمان بعد ذلك الندامةَ الشديدةَ.

فقد حذَّرنا رسولُنا الكريمُ ﷺ من ذلك فقال: «**لا تَدْعُوا**

---

(١) وقد أُفْرِدَتْ رسالةٌ مختصرةٌ بعنوان: «**صفاتُ عباد الرحمن**» في بيان هذه الصِّفات الكريمة التي امتدحها ربُّ العالمين في خواتيم سورة الفرقان، وهي مطبوعة.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (ر: ١٥٣٦)، والترمذي في «الجامع» (ر: ١٩٠٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم: (٥٩٦).

على أنفسِكم، ولا تدعوا على أولادِكم، ولا تدعوا على أموالِكُم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاء، فيستجيبَ لكم»[(١)].

وقال الله ﷻ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدعو على مالِهِ؛ فيلعَنُ مالَـهُ ووَلَـدَهُ، ولو استجابَ اللهُ له لأَهْلَكَهُ»[(٢)].

وقال العلامةُ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا من جهلِ الإنسان وعَجَلتِـهِ حيث يدعو على نفسِهِ وأولادِه ومالِهِ بالشرِّ عند الغضب، ويُبَادر بذلك الدعاء كما يبادر بالدعاء في الخير»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ر: ٣٠٠٩).

(٢) «جامع البيان في تأويل القرآن» للطبري (١٤/ ٥١٣).

(٣) «تيسير الكريم المنان» (ص٤٥٤).

الركيزةُ الرَّابعةُ

التَّحصينُ بالأذكار

فمن الرَّكائـزِ العظيمةِ: حِرصُ الوالدين على تحصينِ أبنائهما بالأذكار الشَّرعيَّـةِ، والأورادِ النَّبويَّـة، فإنَّ لذلك عظيمَ الأثـر على الأولادِ؛ حِفْظًا، وصلاحًا، وسلامةً مِنَ الفِتَن والشُّرور.

وقـدْ شُرِعَ للأبوين العملُ على تـحصين ذُرِّيَّتهما قبل أن يُخْلَقوا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لو أنَّ أحدَهُم إذا أرادَ أن يأتـيَ أَهلَـهُ قال: «باسْم الله، اللهمَّ جنِّـبنا الشيطانَ، وجَنِّبِ الشَّيْطانَ ما رزقتنا»، فإنَّه إنْ يُـقـدَّر بينهما وَلَـدٌ في ذلك لم يَـضُرَّهُ شيطانٌ أبدًا**»[1].

فقوله: «**وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا**»: هذا تحصينٌ عظيمٌ للأولاد؛ يَسْلَمونَ به من شَرِّ الشيطانِ وشركِهِ.

---

(١) أخرجه البُخاري في «صحيحه» (ر: ٦٣٨٨)، ومسلمٌ في «صحيحه» (ر: ١٤٣٤).

ثمَّ بعدَ أن يَـرْزُقَ اللهُ ﷻ الوالدين بالأبناء ينبغي عليهما أن يتعاهدا أبناءَهُما بالتَّعويذِ والتَّحصين، فعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسنَ والحسينَ: «**أُعيذُكُما بكلمات الله التامَّةِ، مِنْ كُلِّ شيطانٍ وهامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَينٍ لامَّة**» ثم يقول: «**كان أبوكم يُعَوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ**»(١).

ثُمَّ عندَ بُلُوغ سِنِّ التَّلقين يحرصُ الوالدان على تلقين أبنائِهما الأذكارَالنَّبوية المباركة منذُ نُعُومة أظفارهم، لاسيَّما الأذكار اليوميَّة؛ كأذكار الصَّباح والمساء، ودخول المنزل والخروج منه، وأذكار الطعام واللباس، ونحو ذلك.

فينشَأُ الطِّـفْـلُ معتادًا على ذكر الله سبحانه، مُلازِمًا له في جميع أحواله، فتحصل له بذلك العافيةُ والسَّلامةُ من الآفات والشرور، وتحصلُ له البركةُ في أموره كلِّها.

---

(١) أخرجه البُخاري في «صحيحه» (ر:٣٣٧١)، وأبو داود في «السنن» (ر:٤٧٣٧)، واللفظ به.

وقوله: «أبوكُم»: أي: رسول الله إبراهيم عليه السلام.

الركيزةُ الخَامِسَةُ

اختيار الأسماء الطيِّبة

فمِن الأمور التي تُعينُ على تربية الأبناء التربية الصالحة أن يختارَ الوالدان لأولادهما الأسماء الحسَنة الطَّيبة، التي تربطهم بطاعة الله ﷻ، كأن يُسَمَّى: «عبدَ الله» و«عبدَ الرحمن» و«محمدًا»، و«صالحًا»، ونحوَ هذه الأسماء الحسنة التي تُذَكِّرُهُ بارتباطه بالصَّلاحِ والعبادة وبما يُحمدُ عليه، فيكون في ذلك تأثيرٌ عليه غالبًا، وكما قيل: «لكلِّ رجلٍ من اسمِهِ نصيب».

وصحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ أحبَّ أسمائِكُم إلى الله: عبدُ الله وعبدُ الرحمن**»[1].

ومِن المناسبِ أن يُبيِّنَ الوالدُ لوَلَدِه معنى اسمه، ووَجْهَ كونِ هذا الاسم محبوبًا لله ﷻ، فمثلاً إن كان اسمُهُ (عبدَ الله) تقول له:

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ر: ٢١٣٢).

أنتَ عبدٌ لله؛ الذي خلقكَ وأوجدكَ، وأنعم عليك بهذه النعم الكثيرة؛ والتي تستلزم منك أن تكون شاكـرًا ومطيعًا له.

وإن كان اسمُهُ مطابِقًا لاسمِ نبيٍّ من الأنبياءِ عليهم السلام، أو صحابيٍّ من الصحابـةِ الكِرام رضي الله عنهم، فمِنَ الـمُفيد أن تُـكـرِّرَ عليه قِـصَّة هذا النبيِّ أو الصَّحابـيِّ، وغيرهم مِنَ الأعلام، وتُـبرزَ له منها الـمَحامِدَ ومكارمَ الأمور ليجتهِدَ في التَّحلي بها، والتشبُّـهِ بصاحِبِ هذا الاسم، وهكذا يُصنَعُ في بقيَّـةِ الأسماء الطـيِّـبـةِ.

ويَلتَحِقُ بهذه الرَّكيزة: تـكنيةُ الأبناء بكُنى طـيِّـبـةٍ من الصِّغر، مثل: أبي عبد الله ، أو أبي عبد الرحمن، ونحوها ؛ لتجري عليهم هذه الكُنى الطيِّبة، وفيه تعزيزٌ لشخصِيَّة الأبناء، ولئلا تسبق إليهم الألقابُ الـسيِّئة والذَّميمة، ويعتبرُ هذا من التفاؤل الـحَسَن بأن يعيشَ هذا الطِّفلُ حتى يُرزقَ بالذُّرِّيـةِ.

الركيزةُ السَّادِسَةُ

العَدْلُ بين الأبناء

فتحرِّي العدل بين الأبناء والبُعد عن الجوْرِ والحيْفِ والظُّلم يعتبرُ من أهمِّ الركائز المؤثِّرة في تربيتهم، فإنَّ الأبَ إذا لم يعدل بين أبنائه أَوْجَدَ ذلك بينهم العداوةَ والتحاسُدَ والتباغُضَ.

وفي الـمُقابل إذا حَرِصَ على العدلِ بينهم كان ذلك مِن أعظم أسبابِ توادِّهِم، ومحبَّتِهِم، وبرِّهم له.

وقد جاء في «صحيح البخاري» عن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنه أنَّ أباه نَحَلَهُ[1] أرضًا، وأنَّ والدته طلبت من أبيهِ أن يُشهِدَ رسول الله ﷺ على ذلك، فلما أتى رسولُ الله ﷺ قال له: «**أعطيتَ سائر وَلَدِكَ مِثلَ هذا**»، فقال: لا، فقال ﷺ: «**فاتَّقوا اللهَ واعدِلوا بينَ أَولادِكُم**»[2].

---

(١) **النِّحْلَة**: هي الهِبَةُ والعطيَّة.

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» (ر: ٢٥٨٧).

وفي رواية عند مسلم أن النبيَّ ﷺ قال له: «**أَيسُرُّكَ أن يكونوا إليكَ في البرِّ سَوَاءً؟**»، قال: بلى، قال: «**فلا إذًا**»[(١)].

وفي روايةٍ: «**لا أَشهدُ على جَورٍ**»[(٢)].

وفي روايةٍ أخرى: «**فأَشْهِد على هذا غيري**»[(٣)]، وهذه الكلمةُ قالها النَّبيُّ ﷺ «تهديدًا له، وإلا فَمَنِ الذي يَطِيبُ قلبُهُ مِنَ المسلمين أن يَشْهَدَ على ما حَكَمَ النَّبيُّ ﷺ بأنه جَوْرٌ، وأَنَّهُ لا يَصْلُحُ، وأَنَّه خِلافُ تقوى الله، وأَنَّه خِلافُ العَدْل؟!»[(٤)].

فهذا تحذيرٌ بليغٌ من الـحَيفِ والظُّلمِ بينَ الأَولادِ، وبيانٌ لما يُوَرِّثُـهُ من العُـقُوقِ وعدم البـرِّ، والتقاطُعِ والتهاجُرِ بين الإخوان.

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (ر: ١٦٢٣).

(٢) أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» (ر: ٢٦٥٠)، ومسلم في «صحيحه» (ر: ١٦٢٣).

(٣) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (ر: ١٦٢٣).

(٤) «إعلام الـمُوقِّعين» لابن القيِّم (٤/ ١٣٣).

الركيزةُ السَّابعةُ

الـرِّفق والرَّحمة

ومِنْ ركائز تربية الأبناء: الرِّفْقُ واللُّطفُ بهم، ومعامَلَـتُهم بالرحمةِ والإحسانِ.

والـحَذَرُ من الغِلظة، والبعدُ عن الشِّدةِ والجفاء؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الـرِّفقَ لا يكون في شيءٍ إلا زانَـهُ، ولا يُـنْـزَعُ مِنْ شيءٍ إلا شانَه**»(١).

وهذه الرحمة والرفق يَـجِبُ أنْ تبدأَ مع الأولادِ مُنذُ صغرهم ونُعُومةِ أظفارهم، وتـمضي وتستمرُّ معهم، فإنَّها سببٌ لقربِ الأبناء من آبائهم، ومحبتهم لهم، ومع وُجُودِ هذا القُرْبِ، وهذه الـمَحَبةِ يَسْهُلُ توجيهُ الأبناء للخير، وتتيسَّـرُ النَّصيحةُ لهم، وكذا استجابتهم وقبولهم لها.

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» رقم: (٢٥٩٤).

وقد تكاثرت النُّصوصُ من سُنَّة النبيِّ ﷺ في بيان هذه الرَّكيزة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قبَّل الحسنَ بن علي رضي الله عنهما، والأقرعُ بن حابس رضي الله عنه جالسٌ عندَه، فقال: «إنَّ لي عشرةً من الولدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا»، فنظرَ إليه رسولُ الله ﷺ وقال: «**مَن لا يَرحَم لا يُرْحَم**»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ وقال: «تُقبِّلُونَ الصِّبيان!؟ فما نُقبِّلُهُم»، فقال النبيُّ ﷺ: «**أوأَملِكُ لكَ أن نَزعَ اللهُ مِنْ قَلبِكَ الرحمةَ**»(٢).

وعن أُمِّ الفَضْل رضي الله عنها أنَّها أتتْ بالحَسَن بن عليٍّ رضي الله عنهما إلى النبيِّ ﷺ وقد فُطِمَ، فوضَعَهُ على صَدْرِه، فبالَ على صَدْرِه، فأصابَ البولُ إزارَه، قالت: «فزَخَخْتُ بيدي على كَتِفَيْه»، فقال ﷺ: «**ارْفقي بابني، رَحِمك الله**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ر: ٥٩٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (ر: ٢٥٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ر: ٥٩٩٨).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (ر: ٢٦٨٧٥ و ٢٦٨٧٨)، بإسنادٍ صحيح.
وقولها: «زَخَخْتُ»: أي دَفَعْتُ، والزَّخُّ هو الدَّفع. **انظر:** «النهاية» (٢/ ٢٩٨).

ومِمَّا يدلُّ على أهميَّـة العنايةِ بجانب الرِّفق والرَّحمة بالأبناء، وأنَّه من أبواب دُخول الـجنَّة، والعِـتْـق من النِّيران، ما ذكرتْهُ أمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «جاءَتني مِسْكينةٌ تَـحمِلُ ابنتين لها، فأَطْعَمْتُها ثلاثَ تَـمَراتٍ، فأَعْطَتْ كُلَّ واحدةٍ منهما تَـمْرةً، ورَفَعَتْ إلى فِـيها تمرةً لتأكُـلَهَا، فاسْتَطْعَمَتْها ابنتاها، فشَقَّتِ التَّمرةَ التي كانت تريدُ أن تأكُلَها بينهما، فأَعْجَبني شَأْنُها، فذكرت الذي صنعتْ لرسول الله ﷺ، فقال: **إنَّ الله قد أَوجَبَ لها بها الجنة، أو أعتقها بها مِنَ النَّار**»[1].

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (ر: ٢٦٣٠).

الركيزةُ الثامنةُ

بذْلُ النُّصْح والتَّوجيه

وأيضًا من ركائز تربية الأبناء العظيمة: المُداومة على النُّصح والتوجيهِ، لاسيَّما إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، بدءًا بتعليم العقائد الدينية، وفرائض الإسلام وأركانه، وسائر الأوامر الشرعية، وكذا عندَ الزَّجر والتحذير؛ يبدأُ بالكبائرِ من الذنوب والآثام، وسائر المناهي الشرعية، فهذه الأمور يجبُ أن يكون لها النصيبُ الأكبر من التوجيه والنُّصح، وبعدها يلتفتُ الوالدُ والوالدة إلى غيرها مِن الأمور التي يصلحُ بها حال أبنائهم في الدنيا مِنَ المطعم والملبس وغيرها.

ومِنَ الوصايا البليغة النافعة المسدَّدة ما ذَكَرَهُ الله ﷻ في كتابه عن لقمانَ الحكيمِ حينما وعظَ ابنَهُ في سورة لقمان حيثُ بدأَ معهُ بالتوحيد، وثنَّى بالأمر ببرِّ الوالدينِ، وبعدها نـبَّههُ على إحاطة الله

ﷻ بخلقِهِ، وفي ذلك إشارةٌ لضرورة مراقبة الله ﷻ في جميع أفعالِهِ، ثم حثَّهُ على إقامة الصلاة التي هي أعظم الأعمال البدنيَّة، وختمَ وصيَّتَهُ بتنبيهِهِ على جملةٍ من رفيع الأخلاق ومعالي الأمور؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٣-١٩].

وقد انتهجَ هذا المسلكَ الأنبياءُ والصالحون كما مرَّ في الوصية السابقة، وذكَرَ اللهُ ﷻ عن نَبِيَّيْهِ إبراهيم ويعقوب عليهما السلام فقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وأثنى ربُّ العالمين على نبيِّه إسماعيلَ عليه السلام بكونهِ يأمُرُ أَهْلَه بالصَّلاةِ والزَّكاةِ، فقال ﷻ: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾.

وأمر الله تعالى نبيَّهُ محمدًا ﷺ أن يحافظَ على أداءِ الصَّلوات المفروضات، وأن يأمرَ أهلَهُ بها أيضًا، ويَحُثَّهم على فعلها كما قال تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ٣٢].

ويدخُلُ في توجيهِ الأبناء ونُصحِهم أيضًا: أن يُجنِّبَ الوالدُ أبناءَهُ كُلَّ ما يُفسِدُ أخلاقَهم ودينَهم؛ مثل: سماع الأغاني، والقنوات الضارة، والآلات المُحرَّمة، وكذا يَحذرُ مِن الذهاب بأبنائه لأماكن اللَّهو المحرَّم.

الركيزةُ التاسعةُ

الجليسُ الصَّالحُ

إنَّ تعاهُدَ الأبناء في باب الجليس والصاحب مِنْ أعظم الركائز التي يجبُ مراعاتها في التربية؛ فإنَّ الصاحبَ ساحبٌ، ولابدَّ أن يؤثر في جليسِهِ.

وقد ضرب لنا النبيُّ ﷺ مَثلاً في بيان تأثير الصاحبِ على صاحِبه في الخير والشرِّ فقال: «**مَثلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ كحاملِ المِسكِ ونافخِ الكيرِ؛ فَحامِلُ المسكِ: إمَّا أن يُحذِيَك، وإمَّا أن تَبتاعَ منهُ، وإمَّا أن تَجِدَ منهُ رِيحاً طيِّبةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أن يُحرِقَ ثيابكَ، وإمَّا أن تَجِدَ مِنهُ ريحًا خبيثَةً**»(١).

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**المَرءُ على دينِ خَليلِهِ فَلينظُر أَحَدُكُم مَن يُخالِل**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ر: ٥٥٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (ر: ٢٦٢٨).

(٢) أخرجه أبوداود في «السنن» (ر: ٤٨٣٣)، وانظر «السلسلة الصحيحة» (ر: ٩٢٧).

فعلى الآباءِ متابعةُ أبنائِهم فِيمَن يَصحبونَ ويُجالِسُونَ في المدارس وغيرها، وتفقُّدهم في ذلك.

وقد استَجَدَّ نوعٌ من الأصحابِ والجُلساء في هذا الزمن لم يكن له وجودٌ في زمن سابق، وهو لا يقلُّ في تأثيره على صاحبه عن سابِقِهِ؛ ألا وهو القنوات الفضائية، ومواقع الإنترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي عبر الأجهزة المحمولةِ ونحوِها، والتي يحملُها الأبناء في أيديهم أينما كانوا؛ في بيوتِهم، وعندَ خروجهم، وهذه الأجهزة إن لم تَكُن تحتَ متابعة الآباء ورقابتهم، فإنَّ خطرَها عظيمٌ على العقول والأديانِ والأخلاق والآداب، فكَمْ قد تَاه وانحرفَ من الشباب والشابات بسببها؛ وآلَ بهم الأمرُ إلى منكراتٍ عظيمة، وبلايا جسيمةٍ، لا يعلم خطرها إلا الله ﷻ.

الركيزةُ العاشرةُ

القُدْوَةُ الحَسَنَةُ

ومن الركائز العظيمة: أن يكونَ الوالدُ قدوةً لأبنائه، فإنْ أمرَهُم بالخير حَرِص أن يكونَ هو المبادر إليه، وإن نهاهُم عن الشر كان هو أبعَدَهم عنه؛ فلا يكون كلامُهُ في وادٍ وفعلهُ في وادٍ آخرَ؛ فيُنشِئُ عند الأبناء تناقضًا وتَبايُنًا واضطرابًا عظيمًا، ممَّا يؤول بالأبناء لتركِ التوجيهِ والتأديبِ من الآباء وتجاهله، وعدم الانتفاع بنصح الوالد وتوجيهه؛ «لأنَّ النُّفُوسَ مَجْبولةٌ على عَدَمِ الانتفاعِ بكلامِ مَنْ لا يَعْمَلُ بعِلمِه ولا يَنْتَفِعُ به.

وهذا بمنزلةِ مَنْ يَصِفُ له الطَّبيبُ دواءً لمَرَضٍ به مِثْلُهُ، والطَّبيبُ مُعْرِضٌ عنه، غَيْرُ مُلْتَفِتٍ إليه.

بل الطَّبيبُ المَذْكُورُ عندَهُم أَحْسَنُ حالًا مِنْ هذا الواعِظِ المُخالِفِ لما يَعِظُ به؛ لأنَّه قد يقومُ دواءٌ آخرُ عِندَه مقامَ هذا

الدواء، وقد يرى أنَّ به قوةً على تركِ التَّداوي، وقد يقنَعُ بعمل الطَّبيعةِ، وغير ذلك، بخِلافِ هذا الواعِظِ، فإنَّ ما يَعِظُ به طريقٌ مُعَيَّنٌ للنَّجاةِ، لا يقومُ غيرُها مَقامَها، ولا بدَّ منها.

ولأجل هذه النُّفْرة قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُ﴾[هود:٨٨].

وقال بعضُ السلف: «إذا أَردتَ أن يُقْبَلَ منك الأَمْرُ والنَّهيُ: فإذا أَمَرتَ بشيءٍ فكُنْ أَوَّلَ الفاعلين له، المؤتمرين به، وإذا نَهيتَ عن شيء، فكُنْ أَوَّلَ المُنْتَهين عنه».

وقد قيل:

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُعَلِّمُ غيرَهُ
هَلَّا لِنَفْسِك كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ؟
تَصِفُ الدَّواءَ لذي السَّقام مِنَ الضَّنى
ومِنَ الضَّنى تُمْسي وَأَنتَ سَقِيمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأْتِيَ مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْك إذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

ابْـدَأْ بـنَـفْسِكَ فانْـهَـهَـا عَـنْ غَـيِّـهَا

فَـإِذَا انْـتَـهَـتْ عَـنْـهُ فَـأَنْـتَ حَـكِـيمُ

هـنـاكَ يُـقْـبَـلُ ما تَـقُولُ ويُـقْـتَـدَى

بِالْـقَـوْلِ مِـنْـك ويَـنْـفَعُ التَّـعْـلِـيـمُ»[١].

وعن الفُضَيل بن عِياض رَحِمَهُ اللَّهُ قال: رأى مالكُ بنُ دِينار رَجُلًا يُسِيءُ صلاتَهُ فقال: «ما أَرْحَمَنِي بعِيالِهِ» فقيل له: يا أبا يحيى يُسِيءُ هذا صلاتَه وتَرْحَمُ عِيالَهُ؟! قال: «**إِنَّهُ كَبيرُهُم، ومِنْهُ يتعلَّمُون**»[٢].

فما أعظم جِناية الوالِدِ على ولـدِهِ عندما يكونُ قُـدوةً لـهم في تـركِ الفرائِضِ أو فِعْل الـمحرَّمات؛ إذِ الأبناءُ في الـغالب يـنشؤون متأثِّرين بسُلوكيَّات والدِهم، فهو كبيـرُهُم، ومنه يتعلَّمون.

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيِّم (١/ ٤٤٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٨٣).

ولنَسْتَحْضِر في هذا المقامِ قولَ الله ﷻ في توبيخِهِ لبني إسرائيل، فقال ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢].

خاتِمة

فهذه جملة يسيرةٌ من الركائز التي تُعينُ على تربية الأولاد وتأديبِهم وتهذيبهم، وليعْلَم المسلمُ أنَّه باعتنائه بهذه الركائز وتطبيقها فإنه سيكون أوَّل مَن يـجني ثمار هذه التربية؛ في حياته وبعد مماته؛ **أمَّا في حياته**: فسيكون ابنه صالـحًا بارًّا به، مُحافِظًا على حقوقه، مُتجنِّـبًا عُقوقَهُ؛ لأنَّ الإسلام الذي ربَّاه عليه يأمره بذلك ويَـحُثُّه عليه.

وأما بعد مماته: فإنَّهُ سيجتهد بالدُّعاء له، فقد قال ﷺ: «**إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عمَلُهُ إلا مِن ثلاثٍ: صدقَةٍ جارِيَةٍ، وعِلمٍ يُنْـتفَعُ به، ووَلدٍ صالحٍ يَدعُو لَه**»[1].

هذا ويجِبُ التنبيهُ إلى أنَّ هذه المسألة؛ وهي: (تربية الأبناء) مسألةٌ كبيرةٌ وعظيمةٌ، يجبُ على كلِّ أبٍ أن يُوليَها عنايةً بالغة، فإنَّ عامَّةَ فسادِ الأبناء سببُهُ إهمالُ الآباء وتفريطُهم.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ر: ١٦٣١).

قال العلامة ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمَن أهملَ تَعليمَ ولَدِه ما يَنفعهُ وتَركه سدى فقد أَساءَ إليهِ غاية الإساءَةِ، وأكثر الأولاد إِنَّما جَاءَ فسادُهُم من قِبَلِ الآباء وإهمالهم لَهم، وَترك تعليمهم فَرَائض الدِّين وسُنَنَهُ»[1].

وهُنا مسألةٌ مُهمَّةٌ ينبغي على الوالِدِ استِحضارُها؛ وهي: أنَّه مع عنايته بهذه الأسبابِ والركائز العظيمة في تربيته لأولاده عليه أن يُفَوِّضَ أمرَهُ إلى الله جَلَّ جَلَالُهُ متوكِّلاً عليه في إصلاح أولاده وحفظهم بما يحفظُ به عبادَه الصالحين، وألا يتعلَّق قلبه بهذه الأسباب.

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأدبُ أَدَبُ الله، لا أَدَب الآباء والأُمَّهات، والخيرُ خيرُ الله، لا خيرُ الآباء والأُمَّهات»[2].

وهذه الكلمةُ العظيمةُ من الإمام مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فيها تَسْلِيَةٌ وذِكرى؛ **أمَّا التَّسْلية**: فهي لكُلِّ مَن بذلَ جُهُودًا في إصلاح وَلَدِه فلم يصلُحُوا.

---

(١) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٢٩).

(٢) «معرفة أصول الرِّواية وتقييد السَّماع» للقاضي عِياض (١/ ٢١٦).

وأمَّا الذِّكْرى: فهي لِـمَن أكرَمَهُ اللهُ بصلاح ذُرِّيـتِه؛ ألَّا ينظُرَ إلى جُهُودِه في تأديبهم، فإنَّما هو مَـحْضُ نعمةِ الله عليه.

وعليه كذلك أن يكونَ مُتفائِلًا طامِعًا في فضل الله ومَنِّه أن يُصلحَهم ويهديَهم صِراطَهُ المستقيم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا أظنُّ أنَّ أحدًا اتَّـقى اللهَ في أولادِه، وسلكَ سبيلَ الشريعة في توجيههم إلا أنَّ الله ﷻ يهدي أولادَهُ»[1].

أسألُ اللهَ أن يُعيننا أجمعين على تربيـةِ أولادِنا وتوجيهِهم الوجهةَ الصَّحيحةَ، وأن يُصْلِحَهُم ويُعيذَهم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلَهم هداةً مهتدينَ، غير ضالِّين ولا مُضِلِّين، إنَّه سميعٌ مجيبٌ.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ.

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (٢٤/ ٢).

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدِّمة	٣
الركيزة الأولى: اختيار الزوجة الصالحة	٨
الركيزة الثانية: غرس العقيدة والإيمان	١٠
الركيزة الثالثة: كثرة الدُّعاء	١٣
الركيزة الرابعة: التحصينُ بالأذكار	١٥
الركيزة الخامسة: اختيار الأسماء الطيِّبة	١٨
الركيزة السادسة: العدل بين الأبناء	٢٠
الركيزة السابعة: الرِّفق والرَّحمة	٢٢
الركيزة الثامنة: بذل النُّصح والتوجيه	١٥
الركيزة التاسعة: الجليس الصالح	٢٨
الركيزة العاشرة: القُدوة الحسنة	٣٠

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة
١٤٤١/ ٢٠٢٠